



التاريخ : السبت , 2011/04/23

د .إبراهيم البحراوي: عرب 1948 أمام فرصة تاريخية

لدكتور إبراهيم البحراوي أستاذ الأدب العبري المعاصر المتفرغ في جامعة عين شمس سجل في كتاباته دلائل المجتمع "الإسرائيلي" وأول من طبق دراسة المجتمع المعادي عن بعد عبر الأدب .

أصدر أكثر من عشرين كتاباً في الدراسات "الإسرائيلية" منها: بطولات المصريين وأثرها في الأدب العبري، الأدب الصهيوني بين حربين، أضواء على الأدب الصهيوني، صورة العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني، العرب واليهود بين الصراع والتشويه .

هل كانت الثورة المصرية مفاجئة لـ "إسرائيل"؟

- بالتأكيد وهذا ظهر بشكل واضح في رد فعل رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو خلال الأيام العشرة الأولى من الثورة، عندما اشتد به القلق وتحرك في الساحة الأوروبية والأمريكية لإقناعهم بمساندة النظام السابق، وكان يستخدم شعاراً تحذيرياً من نجاح الثورة الشعبية بقوله: إن مصر مقبلة على تطبيق النموذج الإيراني، وهو شعار كان يتصور نتنياهو أنه سينجح في إثارة فزع الغرب من الثورة لدرجة أنه قام كما تقول بعض الصحف العبرية بزيارة سرية إلى ألمانيا للعمل في اتجاه تحريض الأوروبيين، غير أن هذه التحركات لم تلق استجابة على الإطلاق من حلفائه في أوروبا وأمريكا .

والعلامة الثانية على المفاجأة هو أن أجهزة المخابرات "الإسرائيلية" التي كانت تزعم قدرتها على العمل المفتوح في الساحة المصرية تعرضت للوم الشديد بعد اندلاع الثورة لعجزها عن التنبؤ وتوقع أحداثها .

كيف ترى توقعات "الإسرائيليين" حول مستقبل الثورة؟

- لاحظت في الكتابات والتصريحات "الإسرائيلية" سواء للمحللين أو الساسة امتزاج الأمنيات بالتوقعات، في تقديري أن الأمنيات "الإسرائيلية" الغالبة على كافة التيارات يمينا ويساراً ومتدينين وعلمانيين، هو أن تفشل الثورة المصرية في تقديم نموذج ديمقراطي في المنطقة العربية، لكي تحتفظ "إسرائيل" بالمكانة المتفردة التي

يروجون لها في العالم الغربي وهي الادعاء بأن "إسرائيل" هي واحة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، وكما تعلم فإن هذا الادعاء له وظائف مهمة في حياة "إسرائيل" فعلى المستوى الأمني يستخدم هذا الادعاء لحفز الغرب على ضمان التفوق العسكري "الإسرائيلي" لحماية ما يسمى واحة الديمقراطية التي يحيط بها شعوب وأنظمة ديكتاتورية لا تحترم حقوق الإنسان ولا المواثيق الدولية .

وهذا يهدد المكاسب الاقتصادية التي تحصل عليها "إسرائيل" باعتبارها شريكاً في أسلوب الحياة الغربي، وفي قيم الحياة الغربية الليبرالية، ولذلك تخشى "إسرائيل" من ظهور نموذج ديمقراطي حقيقي وجاد مجاور لها في مصر وسيكون هذا النموذج منتبهاً إلى الجغرافيا الطبيعية والتاريخية للمنطقة كجزء أصيل منها وليس ككيان وافد عليها، وهو ما قد يغري الغرب بالاعتماد على مصر كشريك في القيم الليبرالية والديمقراطية، بكل ما يترتب على هذا من نتائج عملية وسياسية يمكن أن نلاحظه في حديث لباراك أدلى به لشبكة CNN الأمريكية في محاولة لإفزاز الغرب من نجاح الثورة المصرية في المجال الديمقراطي، لقد لاحظ باراك أن شعار نتنيا هو حول النموذج الإيراني في مصر لم يحقق نتائج مع الغرب لكونه شعاراً فجاً ومكشوفاً وباعتباره وسيلة تحريض رخيصة رفضها الغرب، ولذلك لجأ باراك إلى استخدام نموذج مأخوذ من الحضارة الغربية من تاريخ الثورات الغربية، فقال إنه يتوقع أن يظهر في مصر رويسبير في أقرب وقت، ونحن نعرف أن رويسبير هو الثوري الفرنسي الذي شارك في التعبئة للثورة الفرنسية وإنجاحها عام 1779 وبعد أن تولى الحكم تحول من شخصية رومانسية ترفض العنف إلى جلد للثورة، هنا بالتحديد أراد باراك أن يبعث برسالة إلى الرأي العام الغربي بمصطلح يناسبه للتحذير والتخويف من أن مصر مقبلة في المستقبل القريب على نموذج من القيادة يتسم بالدموية، وينقلب على قيم الثورة الديمقراطية كما حدث في فرنسا .

بالطبع كان باراك من الذكاء بحيث أوضح أن رويسبير الثوري الرومانسي قد بدأ بتصفية الجناح المعتدل من حلفائه في الثورة، ثم انتقل إلى تصفية المواطنين العاديين إذا أظهروا أي نوع من النقد لسلوك الحكم الجديد، وصولاً إلى إصدار قانون التشكيك الذي وضع عقوبة الإعدام بالمقصلة أو غيرها على كل من يشكك في الثورة أو قيادتها بالقول أو الفعل، وهو ما أدخل فرنسا في حالة من الانقلاب التام على قيم الإخاء والعدل والمساواة وتم سفك دماء عشرات الآلاف المحيين للثورة أخذاً بالشبهات .

ما سر خوف "إسرائيل" من وصول الإسلام الراديكالي إلى السلطة في مصر؟

- هذا الادعاء هو استمرار لشعار النموذج الإيراني في مصر، ف"الإسرائيليون" يعلمون جيداً أن الغالبية التي قامت بالثورة التي تمثل الشعب المصري والتي تواجدت بميدان التحرير وسائر الميادين في مصر لم تكن إسلامية، بل كانت من المصريين الذين احتشدت نفوسهم بمشاعر المرارة نتيجة للمظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، صحيح أن هناك أقوالاً عن أن القوة المنظمة الوحيدة حالياً في الشارع السياسي هي جماعة الإخوان المسلمين والسلفيين، لكنني لا أعتقد أن هؤلاء يستطيعون السيطرة على الحكم في مصر .

وهذا نوع من التشكيك في مستقبل الثورة المصرية وتخويف الغرب منها، وعلى أية حال فإن واجب المصريين

بمن فيهم الإخوان المسلمون باعتبارهم فصيلاً وطنياً مصرياً أن يعملوا معا من خلال روح الشراكة الوطنية وروح الائتلاف السياسي الذي أنجز الثورة ليقيموا نموذجاً ديمقراطياً يرفع المصريين في الدرجة الأولى، ويكسب في الوقت نفسه إعجاب وتعاطف العالم الديمقراطي في الدرجة الثانية، ويقطع على "الإسرائيليين" هذه المحاولات لتفريغ التأييد الدولي للثورة المصرية .

لكن باراك قال إن الثورات العربية سيكون لها تأثير إيجابي في "إسرائيل" على المدى الطويل؟

- منذ زمن بعيد و"الإسرائيليون" منقسمون بشأن مستقبل "إسرائيل" في المنطقة، بعضهم يرى أن ضمان أمن "إسرائيل" يكمن في التعامل مع نظم سلطوية وديكتاتورية تسد حاجتها إلى حلفاء من الخارج، وفي مقابل هذه الحاجة يقومون بتلبية احتياجات "إسرائيل" في المجال الأمني والاقتصادي . . الخ .

والقسم الثاني من "الإسرائيليين" يرى أن التجربة التاريخية في العالم تفيد أن النظم الديمقراطية لا تحارب بعضها بعضاً .

هل تتوقع أن يقوم عرب "إسرائيل" بثورة داخل الكيان "الإسرائيلي" لتحقيق طموحاتهم الوطنية الاجتماعية؟

- أعتقد أنها ستكون فرصة تاريخية رائعة أمام عرب 1948 لاسترداد مكانتهم كأصحاب الأرض الأصليين في مجال الهوية القومية وحقوقهم في إثباتها وممارستها، وفي مجال الحقوق المدنية وتحقيق المساواة وفي مجال الحقوق الاجتماعية والاقتصادية للحصول على نصيب عادل من ثروة الدولة، هذه الثورة إذا قامت بعد عام من ثورة النموذج المصري ولتكن في يناير/كانون الثاني 2012 فإن هذه الثورة ستجني مكاسب ضخمة جداً في العالم الغربي للمرة الأولى، وسوف ينظر إليها باعتبارها ثورة ديمقراطية تستكمل النقص في التجربة "الإسرائيلية"، وهو نقص ناتج عن العنصرية "الإسرائيلية" وهو نقص لم تنجح حتى اليوم كعرب في استثماره عند الساسة الغربيين والرأي العالمي الغربي، لأننا كنا ننطلق من موقف أنظمة معادية لهذه القيم، ونحن ننادي بتحقيق المساواة والعدالة والحقوق المدنية للشعب الفلسطيني .

المصدر: دار الخليج

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة دار الخليج للطباعة والنشر © 2008